

ما وراء الصورة

عندما يموت «ضمير» الإعلام

أدهم السيّد: عين الحقيقة في ووهان



ادهم السيد يعيash في المدينة الصينية هنذ خمسة اعوام

الأول لعلاج فيروس كورونا». إن سُلّم المستشفى قبل يومين إلى فرق متخصصة من الجيش، وشرع في استقبال المصابين منذ الاثنين السبدي، فحما أغلقت محلات كثيرة أبوابها منذ عطلة رأس السنة الصينية التي منحتها الحكومة. أما الصيدليات فتفتحت أبوابها، وكذلك محلات بيع الخضار والطعام. لا ينكر الشاب الخطر المحقق في كل مكان، ولا خلق الشوارع إلا من بعض السيارات والمارة، لكن الحقيقة أن الناس هنا يمتلكون لاوامر السلطات في البقاء في منازلهم والتقيّد بالتعليمات، وتخفيف تنقلاتهم إلا للضرورة، وهم يعرفون أن الهدف هو الحفاظ على سلامتهم.

أحد المحالات التي حظيت فيها جهود الحكومة الصينية بوصف «خارقة» هو الانتهاء بعد تسعة أيام فقط من إنشاء «المستشفى التخصصي

الصين» أبلغت العالم بسرعة بشأن تسلسل الفيروس الجديد، وواقفت حركة السكّان بين المدن، بالتزامن مع إنشاء مستشفيات مخصصة، دوراً مهماً صفتها نقطة عبور بري ونهري تصل شطري الصين، في حين أن السلطات لم تتردّد في إغلاقها عندما أصبح ذلك ضرورة لحماية الصينيين والبشرية»، يوضح الطالب اللبناني.

ولعلّ ما نشهده بكيّن، فضلاً عن حماية الإنسان، وفق مدير البحث في «المركز الفرنسي للبحث العالمي» الذي يرأس مختبر الأنثروبولوجيا الاجتماعية في باريس، فريدريك كيك، هو أنها «أرادت أن تظهر، منذ بداية الأزمة في أواخر كانون الأول (ديسمبر) الماضي، استعدادها لمواجهة الوباء الجديد، بعد الانتقادات التي وُجّهت إلى إدارتها إبان تفشي وباء السارس عام 2003». وهو ما يفسّر، طبقاً لكيك، أن حكومة

من نوعه، وهو ما يُعطي المدينة، كما يقول كيك، «دور الحارس المنبّه للعالم بشأن الأوبئة المنطلقة من الصين، وهو دور لعبته حتى الآن هونغ كونغ التي بنى فيها علماء الأحياء المجهرية الأستراليون مختبراً لمراقبة طفرات فيروس الإنفلونزا في جنوب الصين، ولعبت دوراً رئيسياً في مراقبة الأمراض الناشئة هناك». بالعودة إلى السيد، ومبعيداً عن أي مقاربات علميّة، تمثّل المدينة بالنسبة إليه وإلى طلاب أجانب كثر «وطناً ثانياً»، والسبب أنها «حضنتنا جميعاً. إنني أعيش فيها منذ خمس سنوات. لم أزل من أهلها إلا ضحكتهم وتعاملهم اللبق الذي جعل الحدود بيني وبينهم تتلاشى، بغض النظر عن اختلاف الثقافات».

ويقول: «لا يمثل بقائي، أنا وغيري، انتحاراً. هناك اختلاف بين الانتحار والمواجهة. ما نفعله هو بدافع أخلاقي وإنساني، ويقاؤنا هنا صمود وتضامن مع المدينة وردّ جميل». كيف تحوّلت إلى «مراسل حربي»؟ يجيب: «ماذا أستطيع أن أفعل؟ سألت نفسي.

الناس يجلسون في منازلهم يلتزمون التعليمات، وعليّ فعل شيء ما». مستدرِكاً: «لست صحافياً ولا أفهم في هذا المجال مع ذلك وجدت أنه من الضروري الكشف عن زيف الدعاية، خاصة الغربية. الدول التي تعدّ الصين عدواً أو خصماً راحت تستغلّ هذه الكارثة الإنسانية. فيروس كورونا ليس أول حدث، إذ سبقته حربٌ اقتصادية أعلنتها الولايات المتحدة، ومن بعدها المخاھرات المستمرة حتى الآن في هونغ كونغ.

وفي قصة المسلمين والعرب استثمرت ماكينة الدعاية الغربية مسالة الرباط الديني لنسج روايات كاذبة حول ما تعرّض له مسلمو الإنغور، مع أن مئات الفيديوهات التي استُخدمت مصوّرة في امكنة ودول غير الصين». كل ما سبق دفع السيد إلى حمل هاتفه والتحقّل في الشوارع لكشف الحقائق وسرعان ما وصل «إنتاجه» إلى القنوات العربية في كل مكان، التي راحت تستضيفه في نشراتها وبرامجها. ويشير إلى أن بعض القنوات تواصلت معه للعمل مقابل

مبلغ مادي، «لكنني رفضت لأنني لم أبق هنا من أجل العمل أو المال، بل للتضامن والصمود». ويروي أن إحدى القنوات الغربية المرموقة (رفض الكشف عن هويتها)، التي تنطق بعشرات اللغات من بينها العربية، تواصلت معه لاستضافته في أحد برامجها. ولمّا كان هناك فرق كبير في الوقت بين المكان الذي تبت منه القناة، ومدينة ووهان، عرضت خيار إرسال فيديو أصوره جلياً فيه على الأسبلة التي سطرحتها المذيعه»، والأخيرة وافقت قبل أن ترسل إليه: «لا أريد أن تخبرني أن الوضع جيد وكل شيء على ما يرام، أريد أن تقول إن الوضع خطير وهذا فيروس والناس يموتون، تماماً كما تقول الوكالات، لا أريد شيئاً مغايراً».

هكذا، عزمت المدينة على قتال الفيروس الفتاك. قرار اتخذها أهلها بعدما وضعوا حدّاً للخوف، منتقلين إلى المواجهة. ومثل سكان ووهان، وجد شابٌ لبنانيٌّ أن الحاجة هي أن تكون اليوم... أو أن لا تكون أبداً.

قضية

على هامش معركة عثمان الخشت وشيخ الأزهر التجديد حقّ من حقوق العقل المسلم!

ثانياً، التجديد في الفكر الإسلامي ليس منحة تحكمها مؤسسة أو مسجد أو هيئة، بل حق من حقوق العقل المسلم، وفرض على أهل الذّكر والاختصاص من العلماء. ويدون التجديد الدائم والمستمر للغة والخطاب والفكر الإسلامي، تحدث فجوة بين الشريعة الإسلامية وحياة المسلم التي صارت تخضع لتطورات ومتغيرات سريعة طبقاً للعالم العولم الذي نعيش فيه. كما أن أيّ جمود في الفكر الإسلامي سيؤدّي إلى تفكّك الحاكمة الإسلامية المفترضة لحياة المسلم التي تظهر على الأقل في حدما الأثني من الممارسات في العبادة وبعض القوانين كالزواج والملاق والمواثب.

ثالثاً، التجديد لعوياً واستناداً إلى القرآن الذي لم ينكره الخشت ندره من الآية «اننا لفي خلق جديد» (سورة السجدة آية 10) وبمعنى البعث وإعادة الأحياء، والرّد لما كان الإنسان عليه، وهذا اتّفق عليه حول كلمة «تجديد» في معالج اللّغة ك«لسان العرب» ومختار الصحاح، ومفسري القرآن كابن كثير وابن جرير. ومن هنا نشين أن التجديد في النطاق الإسلامي يعني «إعادة الشيء وإرجاعه لا كان عليه»، وهذا يكون عبر إظهار ما طمس من أفكار وأحكام دينية، وإعادة ما نقص أو انتزع وإزالة ما أضيف والحق بالدين والشريعة نتيجة عوامل زمنية سياسية واجتماعية شوهت المفاهيم، ولا يعني التجديد الترك أو الإهمال. وهذا يمكن أن نعتبره الأصل الفكري لما جاء في تعقيب شيخ الأزهر بخصوص المثل الذي ذكره الخشت حول هجرة منزل والده لأنه صار قديماً، فقد أشار شيخ الأزهر إلى أنه يجب إعادة بناء البيت مع البقاء فيه لا هجره.

رابعاً، ضمن الأطار الإسلامي أيضاً، كتب العلامة الكبير محمد شحات الحق في كتابه «عن العبود» الذي شرح سنن أبي داود «المجدد لا يكون إلا من كان عالماً بالعلوم الدينية، ومع ذلك من كان عزمه وهمته أداء الليل والنهار إحياء السنن ونشرها ونصر صاحبها، وإماتة البوع ومحوها وكسر أهلها «باللسان»، وتصنيف الكتب والتدريس، ومن لا يكون كذلك لا يكون مجدداً السياسية في مصر، ممثلة في رئاسة الجمهورية. إذ كرر رئيس الجمهورية عبد الفتاح السيسي الدعوة لتجديد الخطاب الديني أكثر من مرة، فيما جاءت استجابة الأزهر محدودة، بل مستهجنة حديث كلمات في أمور الدين عن غير علم. وهناك مدرسة ثالثة وهي كذا الاختلاف عن الواقع الإسلامي وإن تشابهت الأزمان المتعلّقة بالاستعداد وبالأضطهاد، ولكن تختلف المنازج الفكرية والهياكل المؤسسية والمناسب اللاوتوية للبيئة من كل دين، وهذا بعيد إلى الواجهة الفكر التخوي العربي الانتقائي الفائق للأصالة والتأني المعرفي لكي يقوم ببناء نماذج معرفية مناسبة لطبيعة البيئة التي يعيش فيها.

خامساً، عندما يكون الحديث عن التجديد في إطار الإسلام، يجب أن يكون الحوار ملتزماً بأقصى درجات الفكر والعلم، ومستنداً إلى العقل والنص في آن، بحيث لا يتعارضان، ولا تضرب الأحكام بعضها، ولا يتحدر النقاش إلى مستوى التبسيط الخلل لداعية وعي الجماهير، وإثارة مشاعر التعاطف مع المتحدث،

مصطفى شلش

30 كانون الثاني (يناير) 2020، صرح رئيس جامعة القاهرة محمد عثمان الخشت أنه لن يتراجع عن أي كلمة أو عبارة ذكرها في المحاضرة التي ألقاها خلال مشاركته في فعاليات «مؤتمر الأزهر العالمي للتجديد في الفكر الإسلامي»، مؤكّداً أن ما ذكره في المؤتمر «هو للدفاع عن القرآن الكريم والسنة، في حين أن شيخ الأزهر أحمد الطيب كان محلّ كلامه الدفاع عن الأشاعرة فقط». يأتي تصريح الخشت كتصعيد مستمرّ منه بعد تعقيب شيخ الأزهر أحمد الطيب على الكلمة «المرتجلة» التي ألقاها الأول في «مؤتمر الأزهر العالمي...» الذي ضمّ عدداً كبيراً من القيادات والشخصيات الدينية البارزة على مستوى العالم وممثلين لوزارات الأوقاف ودور الإفتاء والمجالس الإسلامية من 46 دولة من دول العالم الإسلامي. وأشار الطيب إلى كلام الخشت بأنه لا يتسم بالدقة العرفية، ولا يتنم عن إلمام حقيقي بالاختلافات بين الفرق الدينية الإسلامية. وأوضح أن الخشت أتى على الأشاعرة بما ليس فيهم وهم «التيار الفكري الرسمي للأزهر» بخصوص المناهج العلمية المتبّعة في دراسة علم الحديث والفتاوى المستندة إليه. كما أشار الطيب إلى أنّ اقتباس الخشت حول منهج دراسة نصوص القرآن ظلّنا منه أنه يقدم رؤية حديثة لم يسبقه إليها أحد، ما هي إلا رؤية أهل التراث القدماء. وأخيراً، سخر شيخ الأزهر بطريقة سقرافية جداً من فكرة الخشت حول ضرورة نفي وجود «حقيقة مطلقة» في الفكر الإسلامي عبر الإشارة إلى أحد كتب الخشت قائلاً: «إن كنت تظن أن ما في كتابك حول تجديد الخطاب الديني حقيقة، فقد سقط منديك، وإن كنت تشكّ فيه فعندما تتأكد، أهديني نسخة».

هناك مدارس عدة لقراءة هذا المشهد، المدرسة الأولى: تصوير الأمر كصراع بين شيخ الأزهر كمثل مؤسسة كهنوتية ورجل مجدّد كالخشت، والمدرسة الثانية: تصوير الأمر كصراع أكبر بين شيخ الأزهر والقيادة السياسية في مصر، ممثلة في رئاسة الجمهورية. إذ كرر رئيس الجمهورية عبد الفتاح السيسي الدعوة لتجديد الخطاب الديني أكثر من مرة، فيما جاءت استجابة الأزهر محدودة، بل مستهجنة حديث كلمات في أمور الدين عن غير علم. وهناك مدرسة ثالثة وهي كذا الاختلاف عن الواقع الإسلامي وإن تشابهت الأزمان المتعلّقة بالاستعداد وبالأضطهاد، ولكن تختلف المنازج الفكرية والهياكل المؤسسية والمناسب اللاوتوية للبيئة من كل دين، وهذا بعيد إلى الواجهة الفكر التخوي العربي الانتقائي الفائق للأصالة والتأني المعرفي لكي يقوم ببناء نماذج معرفية مناسبة لطبيعة البيئة التي يعيش فيها.



صليحة غيريزي(2014)

